Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (6) June (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الرمز والتبادل ورأس المال الاجتماعي في الثقافة العراقية (دراسة انثروبولوجية)

م.م. قتيبة قاسم مزعل التميمي

جامعة بغداد /رئاسة جامعه بغداد/قسم شؤون الاقسام الداخلية/ مدير وحدة حقوق الانسان

Qutaiba.q@coeduw.uobaghdad.edu.iq

مُلخص البحث :

يُعد الرمز ويعتبر من الوسائط الاساسية في فهم كيفية التبادل والمساعدة عند بناء المعنى الثقافي الفعّال بين الأفراد. وهو بذلك يشكل مؤثرات بناء الهويات الفردية والثقافية، ويمنح التفاعل الرمزي تحليل التأثير الاجتماعي ودلالته على رسائل المجتمع. كما بوساطته تشكل اللغة رأس المال الاجتماعي الذي يلامس تفسير كل الانطباعات والخبرات الاجتماعية الناتجة عن الرمز .يلعب التفاعل الرمزي دورًا هامًا في محاولات فهم الذات، عبر التبادل الرمزي ورأس المال الاجتماعي، إذ يمكن للأفراد بناء صورة لأنفسهم وتحديد هوياتهم الاجتماعية، ويتيح أيضاً للأفراد المساهمة في بناء هويتهم الثقافية عبر التفاعلات الرمزية واستخدام اللغة والدلالات، فضلاً عن تعزيزها للوعي الذاتي الذي يساعد في فهم كيف يتم استخدام الرموز للتعبير عن التبادل الثقافي في العراق، ومن ثم تحديد مواقفهم في المجتمع. بشكل عام، يساهم الرمز والتبادل ورأس المال الاجتماعي في الثقافة العراقية، على توفير أدوات فعّالة للأفراد لفهم أنفسهم وتحليل مواقفهم وخبراتهم الاجتماعية والثقافية.تكون البحث من مقدمة تناولت الرمز والتبادل ورأس المال الاجتماعي في الثقافة العراقية كمدخل أساسي لفهم آليات التماسك المجتمعي، والروابط العشائرية، والتفاعلات اليومية في ظل الظروف السياسية والاجتماعية المعقدة. ومن ثم تم تحديد مشكلة البحث بالسؤال الرئيسي: كيف يسهم التبادل الرمزي في تشكيل القيم والعادات والعلاقات الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع العراقي؟ وايضاً التعريف بأهمية البحث وأهم أهدافه، فضلاً عن تحديد المصطلحات. تناول الاطار النظري اولاً: (مفهوم الرمز والتبادل ورأس المال)، ثانياً (الرمز في الثقافة العراقية كبناء لرأس المال الاجتماعي). ليتم تثبيت الخاتمة وبعدها خرج الباحث بأهم نتائج الدراسة والتوصيات. ليتم أخيرا تثبيت مصادر البحث.

الكلمات المفتاحية : (الرمز، التبادل، رأس المال الاجتماعي، الثقافة العراقية)

Research Summary:

Symbols are useful in understanding how exchanges occur and in constructing effective cultural meaning among individuals. They thus shape the formation of individual and cultural identities, and symbolic interaction allows for the analysis of social impact and its significance in conveying societal messages. Through symbols, language forms social capital, which informs the interpretation of all social impressions and experiences resulting from symbolic interaction Symbolic interaction plays a crucial role in attempts to understand oneself through symbolic exchange and social capital. Individuals can construct a self-image and define their social identities. It also enables individuals to contribute to the construction of their cultural identity through symbolic interactions and the use of language and meanings. Furthermore, it enhances self-awareness, which helps in understanding how symbols are used to express cultural exchange in Iraq, and consequently, in defining individuals' positions within society. In general, symbols, exchange, and social capital in Iraqi culture provide effective tools for individuals to understand themselves and analyze their social and cultural experiences and positions,The research consists of an introduction that addresses symbols, exchange, and social capital in Iraqi culture as a fundamental entry point for understanding the mechanisms of social cohesion, tribal ties, and daily interactions within complex political and social conditions. The research problem was then defined by the main question: How does symbolic exchange contribute to shaping values, customs, and social and political relations within Iraqi society? The importance of the research and its main objectives were also defined, along with key terms The theoretical framework addressed, firstly, the concepts of symbol, exchange, and capital, and

secondly, the symbol in Iraqi culture as a construct of social capital. The conclusion was then presented, followed by the researcher's main findings and recommendations. Finally, the research sources were listed.
Keywords: (Symbol, Exchange, Social Capital, Iraqi Culture)

مقدمة :

تُعد دراسة "الرمز والتبادل ورأس المال الاجتماعي" في الثقافة العراقية مدخلاً أساسياً لفهم آليات التماسك الاجتماعي، والروابط العشائرية، والتفاعلات اليومية في ظل الظروف السياسية والاجتماعية المعقدة. تتسم هذه المنظومة بالخصوصية، حيث تلعب الرموز الثقافية دورًا محوريًا مهماً في بناء الثقة وتبادل المنافع.إذ أن هناك مجموعة من المفاهيم والتعريفات والمقترحات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما، عن طريق تحديد الرمز والتبادل الثقافي والاجتماعي وكل المتغيرات الخاصة بهذا الجانب، لها هدف محدد، هو تفسير تلك الظاهرة ومعرفة مدى أثرها على العادات والتقاليد والتنبؤ بها مستقبلاً، فإذا كانت هذه الرؤيا هي إقرار غير حقيقي بوجود علاقة بين أكثر من متغير، إذا كان هناك " إقرار حقيقي لوجود علاقة ما بين متغيرات محققة تجريبيًا " (موريس، ٢٠٠٦، ٥٤).تتناول الدراسة دور التبادل الرمزي في تشكيل البنية الاجتماعية والقيمية داخل المجتمع العراقي. فعلى الرغم من أهمية رأس المال الرمزي المتمثل في السمعة والشرف والاحترام والوجاهة في تنظيم العلاقات الاجتماعية والعشائرية، إلا أن هذه الظاهرة لم تحظَ بالتحليل الكافي لفهم آليات عملها وتأثيرها في صياغة العادات والتقاليد والرموز الثقافية والدينية. ومن هنا تبرز الحاجة إلى بحث يفك آليات التبادل الرمزي، ويكشف كيف تسهم في إنتاج التباينات الاجتماعية والسياسية، وتوطيد العلاقات داخل المجتمع العراقي المعاصر. وعليه تم تحديد مشكلة البحث بالسؤال الرئيسي: كيف يسهم التبادل الرمزي في تشكيل القيم والعادات والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل المجتمع العراقي؟

وايضاً عبر الأسئلة الفرعية:

١. ما مظاهر رأس المال الرمزي في السياق العراقي، وكيف يتم تداوله اجتماعيًا؟

٢. ما دور اللغة والرموز الثقافية والدينية والاقتصادية والعشائرية في إنتاج هذا التبادل؟

٣. كيف تنعكس ممارسات التبادل الرمزي على التمايزات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الأفراد والجماعات؟

يؤكد الباحث عبر أهمية البحث على سد فجوة بحثية عن الدراسات الأنثروبولوجية وعن رأس المال الاجتماعي في العراق، وذلك لقلة الدراسات المعنية بهذا الجانب. رغم أن معظمها يركز على الفعل السياسي وليس الثقافي الرمزي. كما تبين الأهمية فهم المجتمع من الداخل: أي أن الرمز والتبادل هما محركان خفيان للعلاقات العراقية، فهمهم يفسر سلوكيات عديدة، مثل : (الهبة، التبادل، النذور، العرف، العيب، الفزعة). كما للأهمية العلمية بعد معرفي في تطبيق مفاهيم (بورديو) عن رأس المال الاجتماعي، و (موس) عن التبادل، و (تيرنر) عن الرمز على الحالة العراقية والرمزية المعاصرة.أما هدف البحث الرئيسي فهو يعنى في كشف وتحليل آليات إنتاج وتداول رأس المال الاجتماعي في الثقافة العراقية عبر منظومة الرمز والتبادل. وهناك أهداف فرعية منها : توثيق الرموز الاجتماعية الفاعلة في العراق، فضلًا عن دراسة تحولات رأس المال الاجتماعي بعد ٢٠٠٣، وأثر الحرب والنزوح على المجتمع والمدن.

تحديد المصطلحات :

١ – الرمز

لغةً :"هو تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين، ورمز يرمز ويرمز رمزاً " (ابن منظور، ١٩٩٩، ٢٢٣).

اصطلاحاً : يعرفه (سبنسر) نظراً إلى الأنثروبولوجيا الرمزية والتفسيرية، بأنه: " علم الإنسان الرمزي إلى الثقافة كنظام دلالي مستقل يُفكّ شفرته من خلال تفسير الرموز والطقوس الرئيسية " (سبنسر، ١٩٦٩، ٥٣٥–٥٣٩)كما عرفه (سيزا قاسم)، بأنه: " علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير إليه بفضل قانون غالباً ما يعتمد على التداعي بين أفكار عامة " (قاسم، ١٩٨٦، ٣٤).

التعريف الاجرائي:

الرمز يسعى إلى استدعاء وتوجيه الاهتمام الخاص نحو شخص او موضوع او فكرة او نشاط مرتبط بصورة مبهمة او غير مرتبط على الاطلاق بأي اساس طبيعي، لذلك يذهب الرمز إلى أن كثير من الأشياء والموضوعات التي لا تعد هامة في حد ذاتها مثل الأعلام او اشارات المرور التي

تكتسب الصفة الرمزية على اساس أنها تشير إلى أفكار وأفعال ذات أهمية كبيرة في المجتمع. أذن الرمز ملخصه هو احلال شيء مكان شيء اخر في التعاملات الحياتية كافة ويكون مشابه له في المخيلة الذهنية ومتفق عليه اجتماعيا.

٢ – التبادل

لغةً : " هو عملية إعطاء وتلقي شيء مقابل آخر بين طرفين أو أكثر، كما يُعرّف لغةً بأنه جعل الشيء مكان الآخر أو التعويض " (Kath,2015,97).

اصطلاحاً : في الأنثروبولوجيا، " يُعرف التبادل بأنه عملية نقل متبادلة للسلع، الخدمات، أو القيم بين الأفراد أو الجماعات. لا يقتصر هذا المفهوم على الجانب الاقتصادي البحت، بل يُعد آلية اجتماعية أساسية متجذرة في الالتزام والهوية، وتلعب دوراً رئيسياً في إنشاء الروابط الاجتماعية والحفاظ على استقرار وتماسك المجتمع " (كارير ١٩٩٥، ٥٨). كما يُعرف بناءً على المجال الاقتصادي والثقافي: بأن التبادل غالباً إلى التفاعل المشترك والمنافع المتبادلة، وبمعنى عام، يشمل الانتقال الثقافي، مثل الحرب والصراع العرقي والعنصرية وتعددية الثقافات والزواج بين الأعراق وغيرها من السياقات التي تتناول أكثر من ثقافة واحدة. ومن الناحية العامة الأخرى، فإن الثقافي هو أحد مظاهر الظواهر العالمية والأحداث البشرية " (James, 1996, 26).

التعريف الاجرائي :

التبادل هو عملية أخذ وعطاء طوعية تتضمن التخلي عن شيء (سلعة، خدمة، أو منفعة) للحصول على شيء آخر ذي قيمة في المقابل. كما أنه عملية تعاطي أو مقايضة شيء بشيء آخر بين طرفين، إذ يأخذ كل طرف شيئاً ويعطي الآخر في المقابل، ويشمل المعنى إعطاء واستلام (مثل الهدايا)، أو مشاركة (مثل الأفكار)، أو استبدال (مثل السلع). التبادل يعني أن الأشياء تنتقل بين شخصين أو جهتين لتصبح مشتركة أو مُتبادلة.

٣ – الثقافة

لغةً: المعنى اللغوي للثقافة يتضمن التصويب والتعديل والتقويم مادياً كإقامة الشيء المعوج، أو معنوياً كتأديب الإنسان وتهذيبه وتعليمه فيصبح حاذقاً فطناً في العلم والصناعة : ثقف ثقفاً صار حاذقاً فطناً، فهو ثقف، وثقف العلم والصناعة، أي حذقهما، وثقف الرجل في الحرب، أدركه وثقف الشيء ظفر به، وثقف الإنسان أدبه وهذبه وعلمه " (مصطفى، ١٩٨٩، ٩٨).

اصطلاحاً: عرف الثقافة عالم الأنثروبولوجيا (كريفورد كيرتز)، بأنها: " نظام من المفاهيم الموروثة المُعبَّر عنها بأشكال رمزية، يتواصل بها الناس، ويُخلّدونها، ويُطوّرون معارفهم ومواقفهم تجاه الحياة " (موسوعة بريتانيكا، موقع الكتروني).

كما عرفها (محمد شحاته ربيع)، بأنها: " نتاج إنساني للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد في المجتمع، وهي توفر أنماط اجتماعية مقبولة يستجيب لها الأفراد في ظل حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية وهي تنتقل من جيل إلى جيل. والعلاقة بين الثقافة وتكوين الشخصية علاقة وثيقة حيث لا تنمو شخصيات الأفراد المجتمع إلا في محيط ثقافي عن طريق اكتساب الأفراد للنظم والعادات والتقاليد التي تسود المجتمع في ظل المقومات الثقافية التي هي جوهر التطبيع الاجتماعي. وعلى هذا الأساس فأن الشخصية الإنسانية لا تفهم إلا في الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الفرد " (ربيع، ٢٠١٠، ٤٣٧–٤٣٨).

التعريف الاجرائي:

الثقافة حالة مهمة من حالات وحدة المجتمع ومهما كانت النظرة لها، فهي قيمة روحية ثابتة تتراكم على مر العصور وتكون ثابتة في حياة الأمم والشعوب، هذا لا يعدم حقيقة ما أن للثقافة دوراً كبيراً في توحيد الشعوب وتخفيف هذه الفردانيات التي تؤدي إلى الانقسام والتشرذم. أذن هي كم من النظم تعكس حياة الامم.

الدراسات السابقة:

اولاً: دراسة مالينوفسكي في جزر التروبرياند

فترة الدراسة (١٩١٤ – ١٩١٨)

ملخص الدراسة:

جرت الدراسة في التهادي والتبادل بالأصداف ومبدأ إتلاف الثروة إكراماً للضيف والمنزلة والاعتبار، وحتى احيانا يضطرون إلى قتل عبيدهم والتضحية بهم من أجل رفع اعتبار ومكانة ومنزلة الضيف، وحاول مالينوفسكي تحليل نظام شبكة الكولا المتبع لديهم لتوضيح النشاطات الاقتصادية ومزجها بالنظام الطقوسي المتبع هنالك والمتمثل في السحر والشعوذة.

ثانياً: دراسات العالم كريفورد كيرتز في مجتمع بالي في إندونيسيا

فترة الدراسة (١٩٥٨)

ملخص البحث:تتمثل الدراسة في سباقات صراعات الديكة، إذ يعبر الباحث كريفورد كيرتز في كتابه تأويل الثقافات، أن المتراهنين في سباقات صراعات الديكة يضحون بأموالهم وكل ما يملكون في سبيل المراهنة والفوز في سباقات صراع الديكة لأنه الفائز من أصحاب الرهانات يحظى باعتبار ومكانة ومنزلة عالية جدا في ثقافة مجتمع بالي في إندونيسيا، وهذا ما يوضحه العالم كريفورد كيرتز في كتابه (تأويل الثقافات) حيث يقول لكل مجتمع ممارسات ثقافية لها رموزها الخاصة واعتباراتها الخاصة تميزيها ثقافية عن غيرها من ثقافات المجتمعات الأخرى سواء كانت مدنية متطورة أو قروية غير متحضرة أو قديمة ومتأخرة أو مجتمعات حديثة ومتطورة أو مجتمعات محلية أو مجتمعات تقليدية كلاسيكية.

اولًا – مفهوم الرمز والتبادل ورأس المال

يعد مفهوم الرمز والتبادل ورأس المال من المفاهيم الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية الحديثة، إذ ترتبط هذه المفاهيم بفهم طبيعة العلاقات الإنسانية داخل المجتمع وكيفية تشكل المعاني والقيم بين الأفراد والجماعات، فالإنسان لا يعيش ضمن علاقات مادية فقط بل ضمن شبكة من الرموز والدلالات والمعاني التي تمنح أفعاله وسلوكياته قيمة اجتماعية وثقافية، إذ يشير الرمز إلى كل شيء يحمل معنى يتجاوز شكله الظاهري، فقد يكون الرمز كلمة أو إشارة أو لوناً أو طقساً أو فعلاً اجتماعياً يستخدم للتعبير عن فكرة أو معتقد أو قيمة معينة داخل المجتمع وتظهر الرموز بصورة واضحة في الطقوس الدينية والعادات والتقاليد والممارسات الثقافية إذ تمنح الأفراد شعوراً بالانتماء والهوية المشتركة، ويرى علماء الأنثروبولوجيا " أن الرموز تعتبر وسيلة لفهم الثقافة لأن الثقافة ذاتها تقوم على أنظمة من الرموز التي يتعلمها الإنسان داخل مجتمعه " (إيلين، ٢٠١٨، ٦)، فاللباس التقليدي أو الرايات أو الشعائر الدينية أو حتى طريقة التحية، كلها تحمل معاني رمزية تعبر عن هوية الجماعة وقيمها الاجتماعية.أما مفهوم التبادل فيرتبط بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تنشأ بين الأفراد والجماعات من خلال تبادل المنافع أو الهدايا أو الخدمات أو السلع، وقد اهتم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بدراسة التبادل بوصفه أساساً للعلاقات الاجتماعية لأن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يعتمد على الآخرين في تحقيق احتياجاته المختلفة، ولا يقتصر التبادل على الجانب الاقتصادي فقط بل " يشمل التبادل الرمزي والمعنوي أيضاً مثل تبادل الاحترام والهدايا والمجاملات والزيارات الاجتماعية " (محمد، ٢٠١٩، ٣)، وينظر إلى التبادل على أنه وسيلة لبناء التضامن الاجتماعي وتعزيز الروابط بين الأفراد، إذ إن تقديم الهدايا أو المساعدة يولد نوعاً من الالتزام المتبادل بين الناس مما يسهم في استمرار العلاقات الاجتماعية واستقرار المجتمع، وهنا ظهرت نظرية التبادل الاجتماعي التي ترى أن العلاقات الإنسانية تقوم على مبدأ الأخذ والعطاء، وأن الأفراد يسعون لتحقيق المنافع وتقليل الخسائر في علاقاتهم الاجتماعية، كما أكد بعض الباحثين في هذا المجال أن الهدية ليست مجرد شيء مادي بل تحمل قيمة رمزية واجتماعية، لأنها تعبر عن الاحترام والالتزام المتبادل بين الأطراف، ومن هنا أصبح التبادل مفهوماً مهماً لفهم البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمعات التقليدية والحديثة على حد سواء.أما مفهوم رأس المال فقد تجاوز معناه الاقتصادي التقليدي المرتبط بالمال والثروة، ليشمل أشكالاً أخرى من الموارد التي يمتلكها الأفراد داخل المجتمع، فقد طرح علماء الاجتماع فكرة أن رأس المال لا يقتصر على الجانب المادي بل يشمل رأس المال الثقافي والاجتماعي والرمزي، فرأس المال الثقافي يتمثل في المعرفة والتعليم والمهارات التي يمتلكها الفرد، بينما يشير رأس المال الاجتماعي إلى شبكة العلاقات الاجتماعية التي تساعد الفرد في تحقيق أهدافه والحصول على الدعم والمكانة داخل المجتمع، أما " رأس المال الرمزي فهو المكانة والهيبة والاحترام الذي يحصل عليه الفرد نتيجة امتلاكه لرصيد اجتماعي أو ثقافي معين " (زهران، ٢٠٠٦، ٣٤١)، وتظهر أهمية هذه الأنواع من رأس المال في تأثيرها المباشر على فرص الأفراد داخل المجتمع، إذ " يمكن للعلاقات الاجتماعية القوية أو المستوى التعليمي المرتفع أو السمعة الجيدة أن تمنح الفرد مكانة متميزة وسلطة اجتماعية حتى لو لم يكن يمتلك ثروة مالية كبيرة " (إيلين، ٢٠١٨، ٨)، كما أن المجتمعات تعتمد على رأس المال الاجتماعي في تعزيز التعاون والثقة بين أفرادها مما يسهم في تحقيق الاستقرار والتنمية الاجتماعية.وبذلك فإن مفاهيم الرمز والتبادل ورأس المال ترتبط ببعضها بصورة وثيقة، لأنها جميعاً تسهم في تفسير طبيعة العلاقات الإنسانية والبناء الثقافي والاجتماعي للمجتمع، فالرموز تمنح المعنى للسلوك الإنساني والتبادل ينظم العلاقات بين الأفراد ورأس المال يحدد أشكال القوة والمكانة داخل

المجتمع، ولهذا أصبحت هذه المفاهيم من الركائز الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية المعاصرة لفهم الثقافة والهوية والعلاقات بشكل عام.

١ – الرمز عند فيكتور تيرنر وكليفورد جيرتز

يعد مفهوم الرمز من المفاهيم المحورية في علم الأنثروبولوجيا الثقافية، إذ اهتم الباحثون بدراسة كيفية استخدام الإنسان للرموز في التعبير عن أفكاره ومعتقداته وتنظيم حياته الاجتماعية، ومن أبرز العلماء الذين تناولوا مفهوم الرمز بالدراسة والتحليل الأنثروبولوجي كل من فيكتور تيرنر وكليفورد جيرتز إذ قدم كل منهما رؤية مختلفة لفهم الرموز ودورها في الثقافة والمجتمع، إلا أن كليهما اتفقا على أن الإنسان كائن رمزي يعيش داخل شبكة من المعاني والدلالات الثقافية، حيث يرى فيكتور تيرنر " أن الرموز هي جوهر الحياة الاجتماعية والدينية وقد ركز بصورة كبيرة على دراسة الطقوس والشعائر في المجتمعات التقليدية خاصةً المجتمعات الإفريقية " (محمد، ٢٠١٩، ٦)، وقد اعتبر أن الرمز ليس مجرد علامة أو إشارة بل هو وحدة ثقافية تحمل معاني متعددة ومتشابكة ترتبط بالقيم والمعتقدات الاجتماعية، " فالرموز عند تيرنر تمتلك قدرة على توحيد الجماعة وتحقيق التماسك الاجتماعي، لأنها تعبر عن المشاعر الجماعية والقيم المشتركة بين أفراد المجتمع " (Geertz, 1973, 33–54)، ومن أهم الأفكار التي طرحها (تيرنر) مفهوم (الرمز الطقوسي) وهو أن الطقوس تعتمد على استخدام رموز تعبر عن معانٍ دينية واجتماعية عميقة، فالرمز في الطقس لا يؤدي وظيفة جمالية فقط بل يؤدي وظيفة اجتماعية ونفسية وثقافية، وقد أوضح تيرنر أن الرمز يمتلك معنيين أساسيين:

- معنى ظاهر مرتبط بالشكل الخارجي للرمز.
- معنى باطن يعكس القيم والمعتقدات الكامنة داخل المجتمع.

على سبيل المثال، قد يرمز اللون الأبيض في بعض الثقافات إلى الطهارة والسلام، بينما قد يرمز في ثقافات أخرى إلى الحزن أو الموت، واهتم تيرنر بمفهوم (المرحلة الانتقالية) داخل الطقوس، وهي مرحلة ينتقل فيها الفرد من وضع اجتماعي إلى آخر، مثل الانتقال من الطفولة إلى البلوغ أو من العزوبية إلى الزواج، وفي هذه المرحلة تستخدم الرموز بصورة مكثفة للتعبير عن التحولات الاجتماعية والنفسية التي يمر بها الفرد، ويرى تيرنر أن هذه الطقوس تسهم في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي والمحافظة على استمرارية الثقافة داخل المجتمع.أما (كليفورد جيرتز) فقد قدم رؤية تفسيرية للثقافة تقوم على فهم الرموز والمعاني التي يصنعها الإنسان داخل مجتمعه، ويعد جيرتز من أبرز ممثلي الأنثروبولوجيا التفسيرية إذ يرى أن الثقافة عبارة عن شبكة من المعاني ينسجها الإنسان بنفسه، وأن مهمة الباحث الأنثروبولوجي هي تفسير هذه المعاني وفهمها، ومن هنا ركز جيرتز على دراسة الرموز بوصفها وسائل للتعبير عن رؤية المجتمع للعالم والحياة، يرى جيرتز أن الإنسان لا يمكن فهمه بمعزل عن الثقافة التي يعيش فيها لأن الثقافة تمنح أفعاله وسلوكياته معنى معيناً، ولذلك دعا إلى استخدام ما سماه (الوصف الكثيف)، أي دراسة الظواهر الثقافية بصورة عميقة لفهم المعاني الرمزية الكامنة وراء السلوك الإنساني، فالحركات أو الطقوس أو العادات لا يمكن تفسيرها بشكل سطحي، بل يجب فهم السياق الثقافي الذي يمنحها دلالتها الخاصة، " وقد طبق جيرتز أفكاره في دراساته الميدانية، خاصةً في تحليله لمصارعة الديكة في جزيرة بالي بإندونيسيا " (Turner, 1977, 47)، إذ لم ينظر إليها بوصفها مجرد لعبة أو رياضة شعبية، بل بوصفها رمزاً يعكس الصراعات الاجتماعية والمكانة والهوية داخل المجتمع، فالأحداث الثقافية عند جيرتز تحمل معاني رمزية تعبر عن بنية المجتمع وقيمه وتصوراته.وعلى الرغم من اختلاف منهج كل من تيرنر وجيرتز، فإن كليهما أكد أهمية الرموز في فهم الثقافة والمجتمع، فتيرنر ركز على البعد الطقوسي والاجتماعي للرموز ودورها في تحقيق التماسك الاجتماعي، بينما ركز جيرتز على البعد التفسيري للرموز ودورها في إنتاج المعنى الثقافي، ويمكن القول إن تيرنر اهتم بوظيفة الرمز داخل المجتمع، في حين اهتم جيرتز بتفسير معنى الرمز وفهم دلالاته الثقافية، وقد " أسهمت أفكار هذين العالمين في تطوير الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، إذ أصبحت دراسة الرموز جزءاً أساسياً من فهم الثقافة والهوية والعلاقات الاجتماعية " (تقي الدين، ٢٠١٤، ٤)، فالرموز ليست مجرد أشكال أو إشارات بل تمثل لغة ثقافية تعبر عن القيم والمعتقدات والتجارب الإنسانية داخل المجتمع، ومن خلال تحليل الرموز يمكن للباحث فهم طريقة تفكير الجماعات البشرية وكيفية تنظيم حياتها الاجتماعية والثقافية، أن دراسة الرمز عند فيكتور تيرنر وكليفورد جيرتز تكشف عن أهمية المعنى في الحياة الإنسانية، فالإنسان لا يتعامل مع العالم بصورة مادية فقط بل يضفي على الأشياء والأفعال معاني رمزية تجعلها جزءاً من ثقافته وهويته الاجتماعية، ولهذا أصبح مفهوم الرمز من المفاهيم الأساسية في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والدراسات الثقافية المعاصرة.

٢ – نظرية الهدية عند مارسيل موس

تعد نظرية الهدية من أهم النظريات الأنثروبولوجية والاجتماعية التي ساهمت في تفسير طبيعة العلاقات الإنسانية داخل المجتمعات التقليدية والحديثة، وقد ارتبطت هذه النظرية بعالم الاجتماع والأنثروبولوجيا الفرنسي مارسيل موس، الذي قدم دراسة عميقة حول مفهوم الهدية ووظيفتها

الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وقد ظهرت أفكاره بصورة أساسية في كتابه الشهير (الهبة)، والذي أصبح من النصوص الكلاسيكية في علم الأنثروبولوجيا، وقد حاول موس من خلال هذه الدراسة تفسير الكيفية التي تسهم بها الهدايا في بناء العلاقات الاجتماعية وتحقيق التضامن بين الأفراد والجماعات، " يرى مارسيل موس أن الهدية ليست مجرد عملية تبادل مادي أو تصرف نابع من الكرم الفردي فقط، بل هي نظام اجتماعي وثقافي متكامل يحمل معاني رمزية وأخلاقية ودينية " (كوسة، ٢٠٢١، ٢٩٣)، فالهدية عنده تتجاوز قيمتها الاقتصادية لتصبح وسيلة لبناء الروابط الاجتماعية والمحافظة عليها، ومن هنا رفض موس الفكرة التي ترى أن العلاقات الاقتصادية تقوم فقط على المصلحة والمنفعة الفردية، مؤكداً أن المجتمعات الإنسانية تعتمد أيضاً على قيم الالتزام والتعاون والتبادل الاجتماعي، وقد اعتمد موس في دراسته على تحليل عدد من المجتمعات التقليدية، خاصة مجتمعات جزر المحيط الهادئ وبعض القبائل الأمريكية والإفريقية، حيث لاحظ أن تبادل الهدايا يشكل جزءاً أساسياً من الحياة الاجتماعية، ففي هذه المجتمعات لم يكن التبادل التجاري قائماً على البيع والشراء كما هو الحال في المجتمعات الحديثة، بل كان يتم من خلال تبادل الهدايا والولائم والطقوس الاجتماعية، وكان الأفراد والجماعات يتنافسون في تقديم الهدايا لإظهار الكرم والقوة والمكانة الاجتماعية.ومن أهم الأفكار التي طرحها موس أن الهدية تقوم على ثلاثة التزامات أساسية، وهي: الالتزام بالعطاء، الالتزام بقبول الهدية، والالتزام بالرد أو التبادل، فالإنسان داخل المجتمع التقليدي يكون ملزماً بتقديم الهدايا للآخرين، لأن الامتناع عن العطاء يفسر بوصفه دليلاً على العداء أو الانعزال الاجتماعي، كما أن رفض قبول الهدية يعد إهانة للطرف الآخر لأنه يعني رفض العلاقة الاجتماعية معه، أما الالتزام الثالث فيتمثل في ضرورة رد الهدية بهدية أخرى، لأن عدم الرد يؤدي إلى اختلال التوازن الاجتماعي وفقدان المكانة والاحترام داخل الجماعة، ويؤكد موس أن هذه الالتزامات الثلاثة تجعل من الهدية نظاماً قائماً على التبادل الاجتماعي المستمر، إذ " إن الهدية تخلق علاقة متبادلة بين الأفراد تقوم على الأخذ والعطاء " (Douglas, 1992, 63)، ومن هنا فإن الهدية ليست عملاً مجانياً بالكامل لأنها تحمل نوعاً من الالتزام الأخلاقي والاجتماعي بالرد، فالهدية تنتج روابط اجتماعية طويلة الأمد بين الأفراد والجماعات وتسهم في تحقيق التضامن والاستقرار داخل المجتمع، كما اهتم موس بالجانب الرمزي للهدية، إذ يرى أن الأشياء الممنوحة تحمل جزءاً من شخصية صاحبها أو روحه، ولذلك فإن الهدية ليست شيئاً مادياً فقط بل تحمل قيمة معنوية ورمزية، وقد استند في ذلك إلى بعض معتقدات المجتمعات التقليدية التي ترى أن الهدية تحتوي على قوة روحية تربط بين المانح والمتلقي، ولهذا فإن عملية التبادل تعبر عن استمرار العلاقة الاجتماعية والروحية بين الطرفين.ومن الأمثلة التي تناولها موس نظام (البوتلاتش) لدى بعض قبائل الساحل الشمالي الغربي في أمريكا، حيث كانت القبائل تقيم احتفالات ضخمة يتم فيها توزيع الهدايا والثروات بصورة علنية بهدف إظهار المكانة الاجتماعية والقوة، وكان الزعيم الذي يقدم أكبر قدر من الهدايا يحظى باحترام ومكانة أعلى داخل المجتمع، كما درس موس نظام (الكولا) في جزر المحيط الهادئ وهو نظام يقوم على تبادل أشياء رمزية بين الجزر المختلفة، حيث كانت هذه العملية تسهم في بناء التحالفات والعلاقات الاجتماعية بين الجماعات، وقد أثرت نظرية موس بصورة كبيرة في تطور العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية، لأنها كشفت أن الاقتصاد لا يمكن فصله عن الثقافة والعلاقات الاجتماعية، " فالإنسان لا يتبادل الأشياء بدافع المنفعة المادية فقط بل أيضاً بدافع الحفاظ على العلاقات الاجتماعية وتحقيق الاعتراف والمكانة داخل المجتمع " (تقي الدين، ٢٠١٤، ١٩)، ولهذا اعتبر موس أن التبادل يمثل أساساً للحياة الاجتماعية، وأن المجتمعات تبنى على مبدأ العطاء المتبادل، وساهمت أفكار موس في ظهور دراسات لاحقة حول التبادل الرمزي ورأس المال الاجتماعي، خاصة عند علماء مثل بيير بورديو الذي استفاد من مفهوم الهدية في تفسير العلاقات الاجتماعية والسلطة الرمزية داخل المجتمع، وقد امتدت تأثيرات نظرية الهدية إلى مجالات متعددة مثل علم الاجتماع الاقتصادي، والأنثروبولوجيا الثقافية والدراسات السياسية وحتى الدراسات الحديثة المتعلقة بالمساعدات والهبات والعلاقات الدولية.وفي المجتمعات الحديثة ما تزال نظرية الهدية تمتلك أهمية كبيرة، إذ يمكن ملاحظة أشكال متعددة من التبادل الرمزي والاجتماعي في الحياة اليومية، مثل تبادل الهدايا في المناسبات الاجتماعية أو تقديم المساعدات والدعم بين الأفراد أو العلاقات القائمة على المجاملة والاحترام المتبادل، وعلى الرغم من سيطرة الاقتصاد الرأسمالي الحديث فإن العلاقات الإنسانية ما تزال تعتمد بصورة كبيرة على قيم العطاء والتبادل الاجتماعي، وبذلك يمكن القول " إن مارسيل موس قدم رؤية عميقة لفهم الهدية بوصفها ظاهرة اجتماعية وثقافية معقدة " (خميس، ٢٠٠٨، ١٩)، وليست مجرد عملية اقتصادية بسيطة، فالهدية عنده تعبر عن التضامن والالتزام والعلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات، وتسهم في بناء النظام الاجتماعي والمحافظة على استمرارية الروابط الإنسانية، ولهذا تبقى نظرية الهدية من أهم النظريات التي ساعدت في فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الإنسانية المختلفة.

٣ – رأس المال الاجتماعي عند بيير بورديو وجيمس كولمان وروبرت بوتنام

يستخدم هذا المفهوم لتفسير طبيعة العلاقات الاجتماعية ودورها في تحقيق التعاون والتماسك داخل المجتمع، وقد ظهر هذا المفهوم بصورة واسعة في الدراسات الاجتماعية الحديثة نتيجة الاهتمام المتزايد بفهم تأثير العلاقات الإنسانية والشبكات الاجتماعية في حياة الأفراد والجماعات، ويشير رأس المال الاجتماعي بصورة عامة إلى مجموعة العلاقات والروابط والقيم والثقة المتبادلة التي يمتلكها الأفراد داخل المجتمع، والتي تساعدهم في تحقيق أهدافهم وتسهيل التعاون بينهم، وقد تناول عدد من الباحثين هذا المفهوم من زوايا مختلفة ومن أبرزهم بيير بورديو وجيمس كولمان وروبرت بوتنام، إذ قدم كل واحد منهم تصوراً خاصاً لرأس المال الاجتماعي ووظيفته في المجتمع، وعلى الرغم من اختلاف مناهجهم الفكرية فإنهم اتفقوا على أن العلاقات الاجتماعية تعد مورداً مهماً يمتلك قيمة وتأثيراً كبيراً في حياة الإنسان.يرى (بيير بورديو) أن رأس المال الاجتماعي هو أحد أشكال رأس المال التي يمتلكها الفرد إلى جانب رأس المال الاقتصادي والثقافي والرمزي، ويعرفه بأنه مجموع الموارد الفعلية أو المحتملة التي يحصل عليها الفرد نتيجة امتلاكه شبكة من العلاقات الاجتماعية الدائمة، فالفرد لا يعتمد فقط على المال أو الثروة بل يستفيد أيضاً من علاقاته الاجتماعية التي تمنحه الدعم والمكانة والفرص المختلفة داخل المجتمع، " وقد ركز بورديو على فكرة أن المجتمع يقوم على التفاوت والصراع بين الطبقات الاجتماعية، وأن رأس المال الاجتماعي يستخدم أحياناً كوسيلة للحفاظ على النفوذ والسلطة " (الفتلاوي، الحكيم، العبيدي، ٢٠١٨، ١٢٧)، فالأشخاص الذين يمتلكون علاقات واسعة مع أصحاب النفوذ أو المؤسسات المهمة يتمتعون بفرص أكبر في العمل والتعليم والحصول على الامتيازات الاجتماعية، ومن هنا فإن رأس المال الاجتماعي عند بورديو يرتبط بالقوة والهيمنة الاجتماعية، إذ إن الطبقات المهيمنة تسعى إلى توظيف شبكات علاقاتها للحفاظ على مكانتها داخل المجتمع، كما يؤكد بورديو أن رأس المال الاجتماعي لا ينشأ بصورة تلقائية بل يحتاج إلى وقت وجهد لبنائه والمحافظة عليه، من خلال التواصل المستمر وتبادل المصالح والمجاملات والالتزامات الاجتماعية، فالعلاقات الاجتماعية بالنسبة له ليست مجرد علاقات عاطفية بل هي استثمار اجتماعي يحقق للفرد منافع مستقبلية، ولذلك فإن العائلة والمؤسسات التعليمية والجماعات الاجتماعية تعد من أهم الوسائل التي تساعد على تكوين رأس المال الاجتماعي.أما (جيمس كولمان) فقد تناول مفهوم رأس المال الاجتماعي من منظور وظيفي يركز على دوره الإيجابي في تحقيق التعاون داخل المجتمع، ويرى كولمان أن رأس المال الاجتماعي يتمثل في العلاقات الاجتماعية التي تسهل أفعال الأفراد وتساعدهم في تحقيق أهدافهم المشتركة، وعلى خلاف بورديو الذي ركز على الصراع والسلطة فإن كولمان ركز على أهمية الثقة والمعايير الاجتماعية في تعزيز التعاون والاستقرار الاجتماعي، ويؤكد كولمان " أن رأس المال الاجتماعي يظهر في أشكال متعددة مثل الثقة المتبادلة بين الأفراد، الالتزامات الاجتماعية، القيم المشتركة، وشبكات العلاقات الاجتماعية " (الفتلاوي، الحكيم، العبيدي، ٢٠١٨، ١٣١)، فعندما تسود الثقة داخل المجتمع يصبح التعاون أسهل وأكثر فاعلية، لأن الأفراد يشعرون بالأمان والالتزام تجاه بعضهم البعض، ولهذا يرى كولمان أن الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي تلعب دوراً مهماً في تكوين رأس المال الاجتماعي، لأنها تساعد على غرس القيم الأخلاقية وتعزيز روح التعاون بين الأفراد، كما اهتم كولمان بدراسة تأثير رأس المال الاجتماعي في العملية التعليمية، " حيث أوضح أن الطلاب الذين يعيشون داخل أسر ومجتمعات تتمتع بروابط اجتماعية قوية يحققون نجاحاً تعليمياً أكبر، بسبب وجود الدعم والتوجيه والرقابة الاجتماعية " (كوميون، ٢٠٢٤).أما (روبرت بوتنام) فقد ركز على البعد السياسي والمدني لرأس المال الاجتماعي، واهتم بدراسة علاقته بالديمقراطية والمشاركة المجتمعية، ويرى بوتنام أن رأس المال الاجتماعي يتمثل في شبكات العلاقات والثقة والمعايير التي تسهل التعاون بين الأفراد من أجل تحقيق المصالح المشتركة، وقد اشتهر بدراساته حول تراجع المشاركة الاجتماعية والسياسية في المجتمع الأمريكي، خاصة في كتابه المعروف (اللعب منفرداً)، حيث أوضح أن ضعف الروابط الاجتماعية يؤدي إلى تراجع الثقة والتعاون داخل المجتمع، ويميز بوتنام بين نوعين من رأس المال الاجتماعي:

١- رأس المال الاجتماعي الترابطي: هو الذي يقوم على العلاقات القوية داخل الجماعات المتشابهة مثل العائلة والأصدقاء والطائفة.

٢- رأس المال الاجتماعي التجسيري: الذي يربط بين جماعات مختلفة ويساعد على توسيع التعاون والتفاهم بين فئات المجتمع.

ويرى بوتنام أن المجتمعات الناجحة هي التي تمتلك توازناً بين هذين النوعين، لأن ذلك يعزز الوحدة الوطنية والتماسك الاجتماعي، كما يؤكد بوتنام أن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والمدنية، مثل الجمعيات والمنظمات التطوعية والأندية تسهم في بناء رأس المال الاجتماعي وتعزيز الديمقراطية، فكلما زادت مشاركة الأفراد في الحياة العامة ارتفعت مستويات الثقة والتعاون بينهم، مما يؤدي إلى مجتمع أكثر استقراراً وتقدماً، " على الرغم من اختلاف تصورات بورديو وكولمان وبوتنام فإنهم جميعاً أكدوا أن العلاقات الاجتماعية ليست مجرد علاقات شخصية عابرة " (خميس، ٢٠٠٨، ٢٧)، بل تمثل مورداً مهماً يؤثر في حياة الأفراد والمجتمعات، فبورديو ركز على دور رأس المال الاجتماعي في إنتاج السلطة والتفاوت الاجتماعي، بينما ركز كولمان على دوره الوظيفي في تحقيق التعاون أما بوتنام فقد اهتم بعلاقته بالمشاركة المدنية والديمقراطية.

ثانياً – الرمز في الثقافة العراقية كبناء لرأس المال الاجتماعي

تعد الثقافة العراقية من أكثر الثقافات العربية غنىً بالرموز الاجتماعية والدينية والعشائرية التي تشكل جزءاً أساسياً من هوية المجتمع العراقي، فالرموز في العراق لا تستخدم بوصفها أشكالاً أو طقوساً تقليدية فقط، بل تؤدي دوراً عميقاً في بناء العلاقات الاجتماعية وترسيخ الثقة والتضامن بين الأفراد والجماعات، ومن هنا أصبح الرمز وسيلة فعالة في تكوين ما يعرف برأس المال الاجتماعي أي شبكة العلاقات والقيم والمعايير التي تسهم في تحقيق التعاون والتماسك داخل المجتمع، إن المجتمع العراقي بحكم تاريخه الطويل وتنوعه الثقافي والديني والعشائري، يعتمد بصورة كبيرة على الرموز في تنظيم العلاقات الاجتماعية وتحديد المكانة والهوية والانتماء، فالرموز العشائرية والدينية والاجتماعية تنتج نوعاً من الثقة المتبادلة بين الأفراد، وتمنحهم شعوراً بالانتماء إلى جماعة معينة، " ولهذا فإن رأس المال الاجتماعي في العراق لا يقوم فقط على المؤسسات الرسمية، بل يعتمد بدرجة كبيرة على الأعراف والرموز التقليدية التي تحكم العلاقات اليومية " (الماجدي، ٢٠١٣، ١٠٢)، وتظهر أهمية الرموز في الثقافة العراقية من خلال دورها في تعزيز التضامن الاجتماعي، خاصة في الأزمات والحروب والتحولات السياسية التي مر بها العراق، ففي كثير من الأحيان كانت الروابط الاجتماعية القائمة على العشيرة أو الطائفة أو الدين أكثر فاعلية من مؤسسات الدولة في توفير الحماية والدعم للأفراد، وهذا ما جعل الرموز التقليدية تتحول إلى مصادر قوة ونفوذ اجتماعي.كما أن الرموز العراقية تحمل معاني الشرف والكرم والانتماء والهيبة، وهي قيم تعد أساساً للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، فالضيف في الثقافة العراقية لا يستقبل بوصفه فرداً عادياً بل بوصفه رمزاً للبركة والاحترام، ولهذا ارتبطت الضيافة بالقهوة والدلة والمضافة، وكذلك الحال بالنسبة للعباءة والشماغ والراية الدينية، إذ أصبحت هذه الرموز تحمل دلالات تتجاوز شكلها المادي لتعبّر عن المكانة والهوية والثقة الاجتماعية، ومن ناحية أخرى أسهمت الرموز الدينية في بناء شبكات واسعة من التضامن والتبادل الاجتماعي داخل المجتمع العراقي، خاصة خلال المناسبات الدينية والزيارات والمواكب الحسينية، حيث يتعاون الناس بصورة جماعية لتقديم الطعام والخدمات والمساعدة للزائرين، وهذه الممارسات لا تعبر فقط عن التدين، بل تنتج أيضاً رأس مال اجتماعي قائماً على الثقة والتكافل والتعاون بين مختلف الفئات الاجتماعية، إضافة إلى ذلك لعبت الرموز السياسية والعشائرية دوراً مهماً في تشكيل النفوذ الاجتماعي داخل العراق، " إذ أصبحت صور الشيوخ والرايات والمجالس العشائرية أدوات للتأثير وإظهار القوة والمكانة " (جواد، د.ت، ٢٩٤)، فالرمز هنا يتحول إلى وسيلة للهيمنة الاجتماعية وكسب الولاء داخل الجماعة.وبهذا يمكن القول إن الثقافة العراقية تعتمد بصورة كبيرة على الرموز بوصفها أدوات لبناء رأس المال الاجتماعي، إذ تمنح الأفراد القدرة على التواصل والتعاون وإنتاج الثقة والانتماء داخل المجتمع، ولهذا فإن فهم الرموز في العراق يعد مدخلاً مهماً لفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع العراقي المعاصر.

١ – رموز الضيافة: القهوة المرة، الدلة، المضافة – من أداة كرم إلى معيار ثقة

تحتل الضيافة مكانة مركزية في الثقافة العراقية والعربية بصورة عامة، إذ تعد من أهم القيم الاجتماعية التي تعكس الكرم والشهامة وحسن الاستقبال، وقد ارتبطت الضيافة في العراق بمجموعة من الرموز التقليدية التي أصبحت تحمل معاني اجتماعية وثقافية عميقة، مثل القهوة المرة، والدلة والمضافة، وهذه الرموز لم تعد مجرد أدوات تستخدم في استقبال الضيوف، بل تحولت إلى معايير للثقة والهيبة وبناء العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العراقي، " وتعد القهوة المرة من أبرز رموز الضيافة في المجتمع العراقي، خاصة في البيئات العشائرية والريفية " (الروضان، ٢٠٠٧، ١١١)، فهي لا تمثل مجرد مشروب يقدم للضيف بل تعبر عن الاحترام والتقدير والانتماء الاجتماعي، وتقديم القهوة للضيف يعد إعلاناً ضمنياً عن حسن النية والاستعداد لاستقباله وتكريمه، ولهذا ارتبطت القهوة بالمناسبات الاجتماعية المهمة مثل الصلح العشائري والزيارات الرسمية وحل النزاعات وحتى طلب الزواج، كما تحمل القهوة المرة دلالات رمزية تتعلق بالثقة والالتزام الاجتماعي، ففي الأعراف العشائرية العراقية قد يكون شرب القهوة إشارة إلى قبول الاتفاق أو الصلح بين الأطراف، بينما رفضها قد يفسر بوصفه رفضاً للعلاقة أو عدم الرضا، ولهذا أصبحت القهوة أداة رمزية لتنظيم العلاقات الاجتماعية وتحقيق التفاهم داخل المجتمع، أما الدلة وهي الإناء التقليدي الذي تقدم فيه القهوة فقد تحولت إلى رمز للكرم والمكانة الاجتماعية، " فوجود الدلة في البيت أو المضافة يعبر عن جاهزية صاحب المنزل لاستقبال الضيوف وتقديم واجب الضيافة " (الماجدي، ٢٠١٣، ١٠٤)، وفي بعض البيئات العشائرية تعد الدلة جزءاً من هيبة العائلة ومكانتها، إذ يرتبط حجم المضافة وكثرة الضيوف بصورة مباشرة بسمعة صاحبها ونفوذه الاجتماعي.وتستخدم الدلة أيضاً بوصفها رمزاً بصرياً للهوية الثقافية العراقية والعربية، إذ تظهر في الشعر الشعبي والأمثال والاحتفالات التراثية بوصفها علامة على الأصالة والكرم، كما أن طريقة تقديم القهوة وصبها تحمل هي الأخرى دلالات اجتماعية دقيقة، إذ توجد قواعد وأعراف خاصة بتنظيم مجلس الضيافة واحترام الضيف، أما المضافة فهي تمثل الفضاء الاجتماعي الذي تمارس فيه قيم الضيافة والتواصل الاجتماعي، " المضافة في المجتمع العراقي ليست مجرد مكان لاستقبال الضيوف، بل تعد مؤسسة اجتماعية وثقافية تؤدي أدواراً متعددة

مثل حل النزاعات وعقد الاجتماعات العشائرية استقبال الغرباء وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع " (الروضان، ٢٠٠٧، ١٧٣)، ومن خلال المضافة تبنى شبكات واسعة من العلاقات والثقة المتبادلة بين الناس.كما أن المضافة تعد رمزاً لرأس المال الاجتماعي داخل المجتمع العراقي لأنها تمنح صاحبها مكانة واحتراماً ونفوذاً اجتماعياً، فالشخص الذي يمتلك مضافة معروفة ويستقبل الناس باستمرار يُنظر إليه بوصفه شخصية ذات مكانة اجتماعية مرموقة، وقادرة على التأثير في الآخرين، ولهذا فإن الضيافة تتحول من مجرد قيمة أخلاقية إلى وسيلة لبناء النفوذ الاجتماعي وتعزيز الروابط داخل الجماعة، وقد لعبت هذه الرموز دوراً مهماً في الحفاظ على التماسك الاجتماعي داخل العراق، خاصة في فترات الأزمات والحروب وضعف مؤسسات الدولة، ففي كثير من الأحيان كانت المضافة والعلاقات العشائرية القائمة على الكرم والضيافة توفر الحماية والدعم للأفراد أكثر من المؤسسات الرسمية، وساعدت هذه الرموز على تعزيز روح التضامن والتكافل بين الناس، ومع التحولات الحديثة التي شهدها المجتمع العراقي، ما تزال رموز الضيافة تحتفظ بأهميتها الثقافية والاجتماعية رغم تغير بعض أنماط الحياة، فما يزال العراقيون ينظرون إلى الكرم وحسن استقبال الضيف بوصفهما جزءاً أساسياً من الهوية الاجتماعية والثقافية، كما أن القهوة والدلة والمضافة ما تزال تؤدي دوراً مهماً في بناء الثقة وتعزيز العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وبذلك يمكن القول إن رموز الضيافة في الثقافة العراقية لا تمثل أدوات مادية فقط، بل تعد أنظمة رمزية تسهم في إنتاج رأس المال الاجتماعي، من خلال تعزيز الثقة والتواصل والانتماء والتضامن بين الأفراد والجماعات.

٢ – رموز الشرف والعار: العباءة، الشماغ، "العيب" كرأسمال اجتماعي رادع

تعد مفاهيم الشرف والعار من أهم القيم الاجتماعية التي يقوم عليها البناء الثقافي في المجتمع العراقي، إذ ترتبط هذه المفاهيم بمجموعة من الرموز والعادات التي تنظم سلوك الأفراد وتحدد مكانتهم داخل الجماعة، وقد ارتبطت الثقافة العراقية بمجموعة من الرموز التي تعبر عن الهيبة والاحترام والانتماء الاجتماعي، مثل العباءة والشماغ إضافة إلى مفهوم (العيب) الذي يعد من أقوى أدوات الضبط الاجتماعي داخل المجتمع، وهذه الرموز لا تمثل مجرد مظاهر شكلية، بل تشكل نوعاً من رأس المال الاجتماعي الذي يمنح الأفراد الاحترام والثقة أو يعرضهم للعقوبة الاجتماعية في حال مخالفته، وتعد العباءة من الرموز التقليدية المرتبطة بالوقار والمكانة الاجتماعية داخل المجتمع العراقي خاصة في البيئات العشائرية والريفية، فالعباءة ليست مجرد لباس بل تحمل دلالات ترتبط بالشرف والهيبة والرجولة والانتماء العشائري، وكان ارتداء العباءة في كثير من الأحيان يشير إلى مكانة الشخص الاجتماعية واحترامه داخل الجماعة، خصوصاً لدى شيوخ العشائر والوجهاء. " تُمثل رموز الشرف والعار في الثقافة إطاراً أخلاقياً وأنظمة سلوكية تُنظم حياة المجتمعات. وتختلف هذه الرموز في أشكالها وتطبيقاتها بين المجتمعات الشرقية والغربية، وتنعكس في العادات، التقاليد، الفنون، والأدب " (عابد، ٢٠١٠، موقع الكتروني).كما ترتبط العباءة بفكرة الحماية والكرامة إذ تستخدم أحياناً بوصفها رمزاً للستر والاحترام، وفي بعض الأعراف العشائرية تمنح العباءة دلالات رمزية في مواقف الصلح أو طلب الحماية، حيث يمكن أن تمثل وسيلة للتعبير عن الأمان والانتماء، ولهذا أصبحت العباءة جزءاً من رأس المال الرمزي والاجتماعي الذي يعكس مكانة الفرد وهيبته داخل المجتمع، أما الشماغ فيعد من أكثر الرموز حضوراً في الهوية العراقية والعربية، إذ يرتبط بالفروسية والشهامة والرجولة، وقد تحول الشماغ إلى رمز اجتماعي وثقافي يدل على الانتماء العشائري والمكانة الاجتماعية، خاصة في المجتمعات الريفية والبدوية، كما أن طريقة ارتداء الشماغ أو لونه قد تحمل دلالات تتعلق بالهوية أو الانتماء الجغرافي والاجتماعي، ويؤدي الشماغ دوراً رمزياً في بناء الثقة الاجتماعية لأن الشخص الذي يرتديه ينظر إليه بوصفه ملتزماً بالأعراف والقيم التقليدية للمجتمع، ولهذا فإن هذه الرموز تُسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية، لأنها تمنح الأفراد شعوراً بالانتماء إلى جماعة تشترك في القيم والعادات نفسها. " ترتبط العباءة ارتباطاً وثيقاً بقيم الحماية والكرامة؛ فهي تُعدّ درعاً للحشمة والوقار، ورمزاً للتمسك بالهوية والتراث، وتجسيداً للخصوصية الثقافية التي تعزز مكانة المرأة وتحفظ لها هيبتها في المجتمع " (عبد الحسين، ٢٠٢٥، موقع الكتروني).أما مفهوم (العيب) فيعد من أقوى الرموز الاجتماعية التي تنظم السلوك داخل المجتمع العراقي، فالعيب ليس قانوناً مكتوباً بل منظومة أخلاقية وثقافية تحدد ما هو مقبول أو مرفوض اجتماعياً، ويستخدم هذا المفهوم بوصفه وسيلة للرقابة الاجتماعية إذ يخشى الأفراد من فقدان الاحترام أو التعرض للانتقاد إذا خالفوا الأعراف والتقاليد، ويؤدي (العيب) وظيفة تشبه وظيفة القانون في بعض الأحيان، لأنه يفرض على الأفراد الالتزام بالقيم الاجتماعية مثل احترام الكبار، وحماية سمعة العائلة والوفاء بالوعود والمحافظة على العلاقات الاجتماعية، كما أن الخوف من العار أو فقدان السمعة يدفع الأفراد إلى الالتزام بالسلوك المقبول اجتماعياً، ومن هنا فإن الشرف والعار يتحولان إلى نوع من رأس المال الاجتماعي لأن السمعة الجيدة تمنح الفرد مكانة واحتراماً وثقة داخل المجتمع، بينما يؤدي فقدانها إلى العزلة أو ضعف النفوذ الاجتماعي، ولهذا تسعى العائلات والعشائر إلى المحافظة على سمعتها بوصفها جزءاً من قوتها الاجتماعية والرمزية.لقد لعبت هذه الرموز دوراً مهماً في الحفاظ على التماسك الاجتماعي داخل العراق، خاصة في البيئات التقليدية التي تعتمد على الأعراف والعلاقات العشائرية، كما أن هذه الرموز ساعدت على ضبط السلوك وتقوية الروابط

الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، ورغم التحولات الاجتماعية الحديثة، ما تزال رموز الشرف والعار حاضرة بقوة في الثقافة العراقية وإن كانت بعض معانيها قد تغيرت مع تطور المجتمع وظهور أنماط جديدة من الحياة الاجتماعية، ومع ذلك فإن العباءة والشماغ ومفهوم (العيب) ما تزال تعد عناصر أساسية في فهم العلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية داخل المجتمع العراقي.

٣ – رموز السلطة: الراية، "الكعدة"، صورة الشيخ – تحويل الرمز إلى نفوذ

ترتبط السلطة في المجتمع العراقي بمجموعة من الرموز التي تعبر عن النفوذ والمكانة والهيبة الاجتماعية، إذ لا تقوم السلطة فقط على القوة المادية أو السياسية بل تعتمد أيضاً على الرموز التي تمنح أصحابها الشرعية والاحترام داخل المجتمع، ومن أبرز هذه الرموز الراية والكعدة، وصورة الشيخ التي أصبحت أدوات لإظهار النفوذ وبناء العلاقات الاجتماعية والسياسية، تعد الراية من الرموز المهمة المرتبطة بالهوية والانتماء والسلطة داخل المجتمع العراقي، سواء كانت راية عشائرية أو دينية أو سياسية، فالراية تعبر عن وجود الجماعة ووحدتها كما تمنح أفرادها شعوراً بالقوة والانتماء، وفي كثير من الأحيان تتحول الراية إلى رمز للنفوذ والسيطرة خاصة في المناسبات العشائرية أو الدينية أو السياسية، أما (الكعدة) فهي تمثل الفضاء الاجتماعي الذي تمارس فيه السلطة والنفوذ داخل المجتمع العراقي، والكعدة ليست مجرد جلسة اجتماعية بل تعد مكاناً لاتخاذ القرارات وحل النزاعات وبناء التحالفات الاجتماعية، ومن خلالها يظهر نفوذ الشيخ أو الشخصية الاجتماعية القادرة على جمع الناس والتأثير فيهم، وتؤدي الكعدة دوراً مهماً في إنتاج رأس المال الاجتماعي لأنها تسهم في بناء الثقة والعلاقات بين الأفراد والجماعات، كما أنها تمنح أصحاب النفوذ القدرة على توسيع شبكاتهم الاجتماعية وتعزيز مكانتهم داخل المجتمع. " المجتمع العراقي متعدد الأعراق والأديان والطوائف, وهي منقسمة الى مكونين هما المكون الرئيسي والمكون الثانوي. فالعلاقات القبلية والحضارية منتشرة على نطاق واسع، ولكل طرف تأثيره على المجتمع والنظام السياسي، سواء سلباً أو إيجاباً " (الكيالي، ١٩٨٦، ٥٥).اتخذت صورة الشيخ أو الزعيم الاجتماعي كرمزاً للهيبة والسلطة الرمزية إذ ترتبط بالاحترام والتاريخ العشائري والمكانة الاجتماعية، وغالباً ما تستخدم الصور والرموز البصرية لإظهار النفوذ وترسيخ الولاء داخل الجماعة، وقد تحولت هذه الرموز مع الوقت إلى أدوات سياسية واجتماعية تستخدم للتأثير في الناس وكسب الدعم والشرعية، فالشخص الذي يمتلك القدرة على توظيف الرموز العشائرية أو الدينية بصورة فعالة يستطيع أن يبني نفوذاً واسعاً داخل المجتمع، أن هذه الرموز لعبت دوراً مهماً في فترات ضعف الدولة حيث أصبحت العشيرة والرموز التقليدية مصدراً للحماية والسلطة الاجتماعية، ولهذا فإن فهم رموز السلطة في العراق يعد مهماً لفهم طبيعة العلاقات السياسية والاجتماعية داخل المجتمع العراقي المعاصر. رغم كل العلاقات الموجودة بين النظام السياسي والبنية الاجتماعية داخل كل المجتمعات البشرية من المتخلفة حتى المجتمعات المتقدمة. " فالمجتمعات العشائرية والدينية والقبلية تأثيرها على السلطة السياسية من حيث العدد والقوة ومكانتها وتكوين بنيانها الاجتماعي مقيده بتجمعاتهم العشائرية في المجتمع " (الوردي، ٢٠٠٥، ١٨).

الخاتمة :

تأسيساً على ما تقدم في فصول هذه الدراسة الأنثروبولوجية يتضح أن الثقافة العراقية تمتلك بنية رمزية وتفاعلية شديدة التعقيد، تضرب بجذورها في عمق التاريخ والتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد، إن الرمز والتبادل لا يمثلان مجرد ظواهر ثقافية عابرة أو طقوس احتفالية بل هما الركيزتان الأساسيتان اللتان يستند إليهما بناء شبكات الثقة وإنتاج وإعادة إنتاج رأس المال الاجتماعي في العراق، وقد كشفت الدراسة أن المجتمع العراقي يعتمد على ترسانة ضخمة من الرموز (الدينية، والعشائرية، والتاريخية) وآليات التبادل (المادي والمعنوي) لإدارة العلاقات اليومية وتجاوز الأزمات الحياتية، خصوصاً في المراحل التي شهدت ضعفاً في مؤسسات الدولة الرسمية، حيث تحولت هذه الآليات إلى نظام حماية اجتماعي بديل يضمن للأفراد البقاء والتضامن.

النتائج :

كيف يعمل الرمز والتبادل كعملة اجتماعية في العراق. يعمل الرمز والتبادل كعملة اجتماعية غير مادية في العراق من خلال الآليات التالية:

١– عبر تعزيز الموثوقية إذ تستخدم الرموز الثقافية كضمانات أخلاقية بديلة عن المؤسسات الرسمية لتسهيل المعاملات والاتفاقيات بين الأفراد.

٢– توليد الالتزام عبر انشاء التبادل الرمزي (كالطعام والهدايا والمواساة) ديوناً اجتماعية متبادلة تلزم الأطراف باستمرار العلاقات والتضامن.

٣– ترسيم الحدود عن طريق مساهمة الرموز المشتركة في تحديد الهوية الجماعية والفرز بين جماعة الداخل وجماعة الخارج.

٤– تحصيل الهيبة من خلال محاولة الاستثمار في التبادل الرمزي إلى رأس مال رمزي يمنح صاحبه النفوذ والوجاهة الاجتماعية.

٥–يعزز الرمز في الثقافة العراقية المرتبة والمكانة والمنزلة والدور لجميع الكيانات الاجتماعية.

التوصيات :

كيف نوجه رأس المال الاجتماعي من الانغلاق إلى بناء الدولة. لتحويل رأس المال الاجتماعي في العراق من النمط المغلق (الفئوي) إلى النمط الجسري (الداعم لبناء الدولة)، نوصي بالآتي:

١- تحويل شبكات التضامن التقليدية والعشائرية إلى أطر مؤسسية مدنية تدعم سيادة القانون والتنمية المستدامة.

٢- توسيع الفضاء عبر خلق مساحات عامة ومنابر ثقافية وطنية عابرة للهويات الفرعية لتعزيز الثقة المجتمعية الشاملة.

٣- نوصي بتأطير الرموز عن طريق إعادة استثمار الرموز الثقافية الجامعة وتوظيفها في الخطاب التربوي والإعلامي لبناء هوية وطنية موحدة.

المصادر :

الكتب

١. انجرس، موريس، منهجية البحث العلمي في البحوث الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٦.

٢. ابن منظور – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب (ت ٧١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.

٣. سبنسر، جوناثان، الأنثروبولوجيا الرمزية، موسوعة الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تحرير : آلان بارنارد، جوناثان سبنسر، لندن ونيويورك: ١٩٦٩.

٤. قاسم، سيزا، نصر حامد ابو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا، ج١، منشورات عيون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء: ١٩٨٦.

٥. جيمس كارير، الهدايا والسلع: التبادل والرأسمالية الغربية منذ عام ١٧٠٠، نيويورك: ١٩٩٥.

٦. مصطفى، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مجلد ١، دار الدعوة، اسطنبول: ١٩٨٩.

٧. ربيع، محمد شحاته ربيع، أصول علم النفس، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان: ٢٠١٠.

٨. إيلين، أويفيند، رأس المال الرمزي، جامعة أوسلو، الموسوعة الدولية للاتصالات الاستراتيجية، النرويج: ٢٠١٨.

٩. محمد، زينة جسام، التحليل الاجتماعي للرموز (نظرية الممارسة الاجتماعية والرأسمال الرمزي، محاضرة في قسم الانثروبولوجيا والاجتماع – كلية الآداب – الجامعة المستنصرية، بغداد: ٢٠١٩.

١٠.زهران، علاء، المحاسبة عن رأس المال الفكري في ظل اقتصاد المعرفة، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، المجلد (١٤)، العدد (١)، القاهرة: ٢٠٠٦.

١١.تقي الدين، يحي، مفهوم الرأسمال الرمزي على المستوى الامبريقي: تأثير البرامج الترفيهية لقناة نسمة الفضائية على القيم الدينية لدى الشباب الجزائري، المجلد (٢)، العدد (١)، مارس: ٢٠١٤.

١٢.كوسة، نور الدّين، أهميّة توظيف المقاربة التّأويليّة في الدّراسات الأنثروبولوجيا لتفكيك المعاني الرّمزيّة، مجلة رفوف – جامعة أحمد دراية، المجلد، (٩)، العدد (١)، الجزائر: ٢٠٢١.

١٣.خميس، هاني، راس المال الاجتماعي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، الاسكندرية: ٢٠٠٨.

١٤.الفتلاوي ميثاق، الحكيم، ليث، العبيدي، عصام، رأس المال الرمزي وانعكاسه في القيادة المستنيرة، المجلة العربية للإدارة، المجلد (٣٨)، العدد (١)، مارس: ٢٠١٨.

١٥.فرونت كوميون، كيف تؤثر الرموز التعبيرية على التفاعل الاجتماعي بين الشباب؟ أثر استخدام الرموز التعبيرية على التفاعلات الشخصية عبر الإنترنت بين الشباب، مقال بحثي، القسم: تعدد وسائط الاتصال، المجلد (٩)، ٢٠٢٤.

١٦.الماجدي، خزعل، الثقافة العراقية المعاصرة، مجلة الكوفة الفصلية المحكمة، العدد (٤)، الكوفة: ٢٠١٣.

١٧.جواد، نجم عبد الله، اسس الثقافة العراقية وتحديات التغريب، دراسة فكرية، مجلة الجامعة العراقية، العدد (٥٢)، الجزء (٣)، بغداد.

١٨.الروضان، عبد عون ، موسوعة عشائر العراق (تاريخ, أنساب, رجالات, مآثر)، دار الاهلية للنشر والتوزيع، بغداد: ٢٠٠٧.

١٩.الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة, ج١, ط٣, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بغداد, ١٩٨٦.

٢٠.الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث, ط٢، دار الراشد, بيروت, ٢٠٠٥.

الروابط الالكترونية :

٢١. عابد، توفيق، شرفة العار، الجزيرة، ٢٠١٠/١١/٢٥. نقلاً عن الموقع: https://www.aljazeera.net

٢٢. عبد الحسين، صفاء، ارتداء العباءة رسالة قوية تؤكد أهمية التمسك بالهوية والاعتزاز بالتراث، جامعة بابل، المرجع الالكتروني للمعلوماتية، ٢/٣ / ٢٠٢٥. نقلاً عن الموقع: https://ns1.almerja.com

٢٣. موسوعة بريتانيكا، مقالات في الأنثروبولوجيا التأويلية والحيوات: عالم الأنثروبولوجيا كمؤلف (١٩٨٨). نقلاً عن الموقع : https://www-britannica-com.translate.goog

المصادر الإنكليزية :

1- Kath, Elizabeth (2015) "On Transculturation: Re-enacting and Remaking Latin Dance and Music in Foreign, Lands" In Julian Lee (Ed), Narratives of Globalization: Reflections on the Global Condition.

2- James, Paul (1996) Nation Formation: Towards a Theory of Abstract Community, SAGE.

3- Geertz, Clifford. 1973a. The Impact of the Concept of Culture on the Concept of Man. In The Interpretation of Cultures. New York: Basic Books, Inc.

4- Ithaca, 1977, Turner Victor, The Forest of Symbols: Aspects of Ndembu Ritual. and London: Cornell University Press.

Douglas, Mary. ١٩٩٢5- Risk and Blame: Essays in Cultural Theory. New York: Routledge.